

تفسير ابن كثير

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِلْتُمْ وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

ثم قال تعالى : (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي : اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله

وقوله : (فإن تولوا) أي : تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به ، (فإنما عليه ما حمل) أي

: إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، (وعليكم ما حملتم) أي : من ذلك وتعظيمه والقيام

بمقتضاه ، (وإن تطيعوه تهتدوا) ، وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم (صراط الله الذي

له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) [الشورى : 53] . وقوله : (

وما على الرسول إلا البلاغ المبين) كقوله : (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) [الرعد

: 40] ، وقوله (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) [الغاشية : 21 ، 22]

. وقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعيا - أن قم

في بني إسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحي . فقام فقال : يا سماء اسمعي ، ويا أرض

انصتي ، فإن الله يريد أن يقضي شأننا ويدبر أمرا هو منفذه ، إنه يريد أن يحول الريف إلى

الفلاة ، والآجام في الغيطان ، والأنهار في الصحاري ، والنعمة في الفقراء ، والملك في
الرعاة ، ويريد أن يبعث أميا من الأميين ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ،
لو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من
تحت قدميه . أبعثه مبشرا ونذيرا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ،
وقلوبا غلغا ، وأسدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه
، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو
والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ،
وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ،
وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ،
وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فئاما من الناس
عظيما من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرهم بالمعروف ، وينهون عن
المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين بما جاءت به رسلي . رواه ابن أبي حاتم .